

ديوان

المغربيين

من شعر

صالح الدين القوصي

(الجزء الرابع)

الطبعة الأولى

غرة المحرم ١٤٢١هـ - أبريل ٢٠٠٠م

وقف لله تعالى لا يباع

﴿النُّور﴾

﴿ النُّور ﴾

باسمِ المهيمنِ مَنْ عَلَا فَتَنَاهَى
عن كُلِّ مَفْهُومٍ سَمَا فَتَبَاهَى
آيَاتُهُ فِي الكَوْنِ .. أَخْفَى بَعْضَهَا
جَلَّ العَظِيمُ .. وَبَعْضَهَا أَبْدَاهَا
وَتَبَارَكَ المَوْلَى .. يُعَلِّمُ عَبْدَهُ
بَعْضَ العُلُومِ إِنْ اتَّقَى وَوَعَاهَا

شَمْسٌ تُطِلُّ بِنُورِهَا وَضُحَاهَا
فَإِذَا اخْتَفَتْ .. قَمَرٌ بَدَأَ وَتَلَاهَا

وَنَهَارُهَا لَمَّا اسْتَوَتْ جَلَّاهَا
وَاللَّيْلُ لَمَّا أَنْ سَجَى غَشَّاهَا
وَسَمَا عَلَتْ سَبْعًا .. وَكَيْفَ بَنَاهَا
وَالْأَرْضُ قَدَّرَ رِزْقَهَا وَطَحَّاهَا
وَالنَّفْسُ أَنْشَأَهَا .. وَقَدْ سَوَّاهَا
وَيُنُورُهُ قَدْ أَلْهَمَتْ تَقْوَاهَا
قَدْ أَفْلَحَتْ إِنْ رَبَّهَا زَكَّاهَا
وَهَوَى الَّذِي بِالشَّرِّ قَدْ دَسَّاهَا
وَالرُّوحُ مِنْ أَمْرِ الْعَلِيمِ كَيَّاهَا
مِنْهُ إِلَيْنَا حَافِظًا يَرَعَاهَا
فَالْحَمْدُ مِنِّي .. وَالتَّائِبُ عَلَيْكُمْ
وَ تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ مَنْ سَوَّاهَا

يَا مَنْ نَفَخْتَ بِطَيْبَتِي رَوْحاً بِهَا
نُورٌ .. فَسَبَّحْتَ الَّذِي أَبْرَاهَا
وَجَعَلْتَ فِي جِسْمِي الْبُحُورَ وَمَوْجَهَا
حَتَّى الْجِبَالَ !! فَجَلَّ مَنْ أَرْسَاهَا
وَبِهِ عُيُونٌ سَلَسَبِيلٌ مَاؤُهَا
مِنْ كُلِّ صِنْفٍ تَرْتَجِي سُقْيَاهَا
وَبِهِ بَرَائِكِينَ تُثَوِّرُ بِنَارِهَا
وَبِهِ رِيَاحِينَ يُفَوِّحُ شَذَاهَا
شَمْسٌ .. وَأَقْمَارٌ .. وَكُلُّ نُجُومِهَا
عِنْدِي .. وَسُبْحَانَ الَّذِي أَنْشَاهَا
لِي مَشْرِقَانِ .. وَمَغْرِبَانِ .. وَبَرْزَخٌ
وَسَمَا .. وَأَرْضٌ .. بِالْفَوَادِ أَرَاهَا

أَرْضِي .. وَأَفْلَاكِي .. وَكُلِّ عَوَالِمِي
فِي الْكَوْنِ تَنْشُدُ أُمَّهَا وَأَبَاهَا !!
جَلَّ الْمَصَوِّرُ رَبُّنَا وَإِلَهِنَا
وَتَبَارَكَ الرَّحْمَنُ مَنْ أَحْصَاهَا

آيَاتِكُمْ فِيْنَا .. يَرَاهَا مُبْصِرٌ
بِالْقَلْبِ .. لَا بِالْعَيْنِ بَعْدَ عَمَاهَا
أَدْرَكْتُ نَفْسِي .. فَانْتَبَهْتُ .. فَإِذْ لَهَا
بَابٌ إِلَى رُوحِ سَمْتِ أَعْلَاهَا
وَالْبَابُ مِرْآةٌ .. تُطِلُّ عَلَيْهِمَا
طَوْرًا شِمَالًا .. أَوْ إِلَى يَمْنَاهَا

نَفْسِي بِأَيْسَرِهَا .. وَعِنْدَ يَمِينِهَا
رُوحِي بِأَنْوَارِ الْهُدَى وَضِيَاهَا
وَالْقَلْبُ عَرْشُ الرُّوحِ بَيْنَ صُدُورِنَا
وَالصَّدْرُ مَعْرَكَةٌ تَدُورُ رَحَاهَا
بَيْنَ الْهُدَى وَالتُّورِ فِي رُوحٍ صَفَتْ
وَالنَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ إِذْ أُغْوَاهَا
وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ رَبِّي عَبْدَهُ
إِنْ قَالَ حَسْبِيَ رَبُّنَا مَوْلَاهَا

وَرَأَيْتُ مِرْآتِي بَدَاتِي فِي النُّهْيِ
وَالْقَلْبُ فِي الْمِرْآةِ زَاغَ وَتَاهَا

فَبَصِيرَتِي .. مَلَكَوتُ رَبِّي كُلُّهُ
تَسْمُو إِلَيْهِ .. فَتَعْتَلِي مَرَقَاهَا
قُدْسِي .. وَمِعْرَاجِي بِهَا .. وَالْعَرْشُ
وَالْكُرْسِيُّ .. فِي أَعْلَاهَا
وَنَظَرْتُ فِي كُلِّ الْخَلَائِقِ .. لِمَ أُجِدُ
شَيْئًا .. سِوَى نُورِ الَّذِي أَنْشَأَهَا
أَعْطَيْتَ كُلَّ الْخَلْقِ بَعْضَ صِفَاتِكُمْ
تَحْيَا بِهَا .. وَعَلَا الَّذِي أَوْلَاهَا
وَلْتَمَّ وَجْهَكَ حَيْثُ أَنْظَرُ .. لَا أَرَى
إِلَّا الَّذِي بِصِفَاتِهِ أَحْيَاهَا
فَتَبَارَكَ الرَّحْمَنُ .. دَبَّرَ كَوْنَهُ
بِصِفَاتِهِ .. حَتَّى وَإِنْ أَخْفَاهَا

لَمَّا وَعَتْ رُوحِي "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ"
وَاهْتَزَّ مِنْهَا لُبُّهَا وَنُهَاهَا
وَجَمَالِكُمْ يَا سَيِّدِي لَمَّا بَدَأَ
هَزَّ الْقُلُوبَ .. وَدَكَّهَا وَسَبَّأَهَا
فَالرُّوحُ .. مِنْ نُورِ الْجَمَالِ تَكَلَّمَتْ
مِنْ بَعْدِ مَا قَامَتْ بِهِ .. أَفْنَاهَا !!
سَجَدَتْ لَكُمْ حُبًّا .. فَقِيلَ: تَكَلَّمِي
"لَبَّيْكَ" .. قَالَتْ: مَا لِكَا وَإِلَآهَا
لَكَ قَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّكُمْ يَا سَيِّدِي
أَحَدٌ .. تَقَدَّسَ عِزُّهُ وَتَنَاهَى
قِيلَ: انْظُرِي إِلَى الدُّنْيَا .. وَهَدِي جَنَّتِي
وَجَحِيمُنَا .. لِمَنْ افْتَرَى وَتَلَاهَى

قلتُ: استعدتُ بوجه ربِّي.. ما أرى
إِلَّاكَ محبوبَ التُّهَى ومُنَاهَا
ما - سيِّدى - شاهَدْتُ إِلَّا نُورَكُمْ
وَالْعَرْشَ ... وَالْكَرْسِيَّ فِيهِ تَنَاهَى
أَنَا سيِّدى .. عَبْدٌ .. وَكُلُّ عِبَادِكُمْ
عَقْلًا .. وَقَلْبًا .. سُجَّدًا .. وَجِبَاهَا
دُنْيَا زَوَالٌ .. كُلُّهَا وَهَمٌّ .. بِهَا
طِينٌ عَلا طِينًا وَفِيهِ تَبَاهَى !!
أَمَّا الْجِنَانُ .. فَحَظُّ نَفْسٍ لَا تَرَى
نُورَ الْجَمَالِ لِخَالِقِ سَوَاهَا
وَكَلاهُمَا خَلَقٌ .. وَلَكِنْ مَهْجَتِي
عَنْ كُلِّ خَلْقٍ .. أَعْرَضَتْ عَيْنَاهَا

وَاللَّهِ يَا مَوْلَايَ .. مُنْذُ خَلَقْتَنِي
وَرَأَيْتُ فِيَّ طُفُولَتِي وَصِبَاهَا
وَرُجُولَتِي بَعْدَ الشَّبَابِ .. وَشَيْبَتِي
لَمَّا بَدَتْ .. وَ الْمَوْتَ فِي طَيَّاهَا
بَلْ - يَا سَيِّدِي - مِنْ يَوْمٍ قَلْتُ لَكُمْ : بَلَى
مَا رُوحي التَّفَتُّ لِعَيْرِ مَنَاهَا
أَحَبُّكُمْ يَا سَيِّدِي .. حَتَّى أَنْتَهَى
مِنِّي الْفُؤَادُ وَمُهْجَتِي وَنُهَاهَا

هَلْ قَدْ عَرَفْتَ الْحَبَّ !! قَالَ مُحَدَّثِي ..
وَ هُوَ الْعَلِيمُ بِمُهْجَتِي وَهَوَاهَا

قُلْتُ: اسْتَجَرْتُ بِكُمْ .. وَعِزُّ جَلَالِكُمْ
فَلَقَدْ بَلَوْتُ الْحَبَّ .. وَاهَا .. وَاهَا !!
أَنْزَلْتَنِي ” بِالطُّورِ “ ثُمَّ أَمَرْتَنِي
أَلَّا أُغَادِرَ أَرْضَهَا وَسَمَاهَا
وَلَمَحْتُ ” مُوسَى “ لَا يَزَالُ مُنَاجِيًا
وَ الْقُدْسُ حَوْلَ النَّارِ قَدْ أَوْرَاهَا
وَرَأَيْتُ ” نُوحًا “ فِي سَفِينَتِهِ عَلَيَّ
” الْجُودِيَّ “ تَمْخِرُ أَبْحُرًا وَمِيَاهَا
وَرَأَيْتُ ” إِدْرِيسَ “ الْعَلِيِّ مَقَامُهُ
وَ قَدْ اسْتَقَرَّ بِأَمْرِكُمْ بِسَمَاهَا
وَرَأَيْتُ ” إِبْرَاهِيمَ “ يَذْبَحُ كَبْشَهُ
وَ الْكَعْبَةَ الْعَرَّا .. وَ كَيْفَ بَنَاهَا

وَرَأَيْتُ " دَاوِدَ " الْأَمِينَ مُسَبِّحًا
وَرَأَيْتُ فِي " يَعْقُوبَ " كَيْفَ بَلَاهَا
وَرَأَيْتُ " عِيسَى " فِي بَهَاءِ شَبَابِهِ
وَرَأَيْتُ " أَهْلَ الْكَهْفِ " .. بَلْ أَشْبَاهَا !!
وَإِذَا بِمُحِبُّوبِ الْكَرِيمِ " مُحَمَّدٍ "
نُورٌ كَمِشْكَاتِ أَضَاءِ سَنَاهَا
فَرَأَيْتُ عِنْدَ الْعَرْشِ نُورَ " مُحَمَّدٍ "
لَكَ سَاجِدًا وَقَدْ ارْتَقَى أَعْلَاهَا
وَإِذَا " لَوَاءُ الْحَمْدِ " بَيْنَ يَدَيْهِ لَا
يَأْلُوكَ حَمْدًا مُهْجَةً وَشِفَاهَا
وَيُمِدُّ كُلَّ الْأَنْبِيَاءِ بِنُورِهِ
كَالشَّمْسِ يَلْمَعُ فِي النُّجُومِ ضِيَاهَا

سِرُّ سَرَى فِي الْكَائِنَاتِ بِنُورِهِ
وَبِرَحْمَةِ اللَّهِ اهْتَدَتْ لِهَدَايَا
وَسَمِعَتْ: كُلُّ الْكَوْنِ وَجْهِي فَاسْتَقِيمْ
” لِنُؤَلِّيَنَّكَ قَبْلَةَ تَرْضَاهَا “
وَإِذَا بَنُورٌ ” مُحَمَّدٌ “ يَسْرَى إِلَى
قَلْبِي .. فَهَمْتُ مُصَلِّياً أَوْأَهَا
مِنْ يَوْمِهَا .. وَالنُّورُ يُعْشَى مُهْجَتِي
وَ النَّارُ تَحْرِقُ مُهْجَتِي وَ لظَاهَا
فَعَرَفْتُ أَنَّ ” مُحَمَّدًا “ نُورُ الْهُدَى
مِحْرَابُ أَرْوَاحِ الْوَرَى وَ هَدَايَا
وَلَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَشَاءُ وَ تَصْطَفِي
مِنْ بَيْنِ خَلْقِكَ سَيِّدِي أَحْلَاهَا

فَتَفِيضُ مِنْ أَنْوَارِكُمْ مَا شِئْتَهُ
لَا يُسْأَلُ الْمَوْلَى لِمَنْ آتَاهَا
هُوَ عَبْدُكُمْ .. وَنَبِيُّكُمْ .. وَحَبِيبُكُمْ
مَشْكَاهُ نوركَ سَيِّدِي وَسَنَاها
فَعَلِيهِ يَا مَوْلَايَ صَلِّ .. سَمَاحَةً
أَعْلَى صَلَاةٍ .. لَا يُطَالُ مَدَاهَا

قِيلَ : اسْتَمِعْ .. إِنِّي وَكُلُّ مَلَائِكِي
دَوْمًا عَلَيْهِ صَلَاتُنَا وَضِيَاهَا
يَاسَعِدُ - مِنْ كُلِّ الْخَلَائِقِ - مِنْ وَعَى
طَوْبِي .. وَطَوْبِي لِلَّذِي صَلَّاهَا

أَوْ قَدْ رَأَيْتَ "مُحَمَّدًا" وَكَمَالَهُ !!
قَلْبُ الْهَدَاةِ وَنُورِهَا وَسَانِهَا !!
مَشْكَاتُ أَنْوَارِي .. وَشَمْسُ حَقَائِقِي
وَالرَّحْمَةُ الْعَظْمَى وَبَحْرُ نَدَاهَا
فَالْكُونُ .. كُلُّ الْكُونِ فَهُوَ كِتَابُنَا
وَبِهِ مِنَ الْآيَاتِ مَا جَلَّاهَا
وَلِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبُهُ .. وَكِتَابُنَا
"يَس" نَصًا قَلْبُهُ .. قَدْ فَاهَا
قُرْآنُنَا .. أَنْوَارُنَا .. مَا أَنْزَلْتِ
إِلَّا عَلَى قَلْبِ سَمَاءٍ فَتَنَاهِي
فِي لَمْحَةٍ .. "وَالْمُنْتَهَى" أَرْضٌ لَهُ
"وَالْآيَةُ الْكُبْرَى" رَأَى .. فَوَعَاهَا

كَانَ الْقَدِيمُ مَعَ الْحَوَادِثِ كُلِّهَا
أَزَلُّ بِهِ أَبَدُ رَأْهِمْ ” طَه “
رُوحٌ تَنْزَلَتْ الْحَقَائِقُ كُلُّهَا
فِي قُدْسِهَا فَأَضَاءَ نُورُ سَنَاهَا
مِنْهُ الْعَوَالِمُ وَالْمَعَالِمُ تَسْتَقِي
كُلُّ الْخَلَائِقِ سَبَّحَتْ مَوْلَاهَا

مِنْ ” بَيْتِنَا الْمَعْمُور “ أَنْزَلَتْ الْهُدَى
” فِي بَيْتِ عِزَّتِنَا “ لِيَقْرَأَ ” طَه “
فِي قَلْبِ ” أَحْمَدَ “ كُلِّ قَرَّانِي .. وَمَا
” جَبْرِيلُ “ إِلَّا فِي مَعِيَّةِ ” طَه “

أَنْزَلْتُهُ نُورًا .. وَمَا نَطَقُوا بِهِ
إِلَّا بِنُطْقِ لِسَانِنَا فِي " طَهَ "
نُورٌ عَلَى نُورٍ بِقَلْبِ " مُحَمَّدٍ "
يَا عِزَّ مَنْ ذَاقُوا مَحَبَّةَ " طَهَ "
هُوَ رَحْمَتِي .. وَ لَهُ الْوَسِيلَةُ عِنْدَنَا
أَمَّا الشَّفَاعَةُ فَيَكُمُ .. فَلِـ " طَهَ "
هُوَ خَيْرُ خَلْقِي .. لَا يَفُوزُ سِوَى الَّذِي
أَحْبَبْتُهُ .. بِمَحَبَّةٍ فِي " طَهَ "
فَعَلَيْهِ صَلِّ .. وَصِلْ حَبَالِكَ بِالنَّبِيِّ
وَاطْلُبْ مِنَ الدَّارَيْنِ صَحْبَةَ " طَهَ "

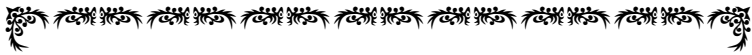
قُلْتُ: التَّحِيَّاتُ السَّنِيَّاتُ لَكُمْ
مِنْ رُوحِ عَبْدٍ لِلَّذِي أَحْيَاهَا
وَجَلَالَ وَجْهَكَ سَيِّدِي أَلْهَمْتَنِي
حَقَّ الْحَقَائِقِ .. وَ الْبَيَانُ حَوَاهَا
وَجَلَالِكُمْ .. مَا فِي الْوُجُودِ سِوَاكُمْ
وَصِفَاتِكُمْ فِيهِ تَدُورُ رَحَاهَا
وَوَ "مُحَمَّدٌ" نُورٌ .. وَرَحْمَتُكُمْ بِنَا
مَنْ لَمْ يَفْزُ بِهِمَا فَذَا أَشْفَاهَا
أَحَبِّتُهُ يَا سَيِّدِي .. حَبِي لَكُمْ
وَلِقَلْبِ رُوحِي سَيِّدِي سُقْيَاهَا
قَلْبِي بِهِ رَبِّي .. وَ نُورٌ "مُحَمَّدٌ"
بُعْرُوقِنَا يَجْرِي .. إِلَى أَقْصَاهَا

لَوْلَاهُ مَا عَرَفَ الْفُؤَادُ جَمَالَكُمْ
وَجَمَالَهُ أَنْوَارُكُمْ وَبَهَاهَا
فَعَلِيهِ مِنْكَ صَلَاتُكُمْ أَبَدًا عَلَى
رُوحِ الْوُجُودِ وَشَمْسِهَا وَضَحَاهَا

يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ .. أَلْفُ تَحِيَّةٍ
مَنْ قَلْبِ عَبْدٍ وَالِهِ تَرْضَاهَا
يَا سَيِّدِي .. قَدْ جِئْتُ أَرْجُو جِيرَةً
وَالْجَارُ قَبْلَ الدَّارِ فِي سُكْنَاهَا
رُوحًا وَنَفْسًا مِنْكَ خَيْرُ جِوَارِكُمْ
دُنْيَا وَأُخْرَى لَا أُرِيدُ سِوَاهَا

وَهَلِ "الْمُرَافِقُ" لَا يَكُونُ لَصُحْبَةٍ
إِلَّا "الْمُؤَافِقَ" سَيْرَهَا وَسِرَّهَا!!
أَمَّا "الْمَجَالِسُ" فِي الْمَعِيَّةِ.. إِنْ يَكُنْ
غَيْرَ "الْمُجَانِسِ" لَمْ يَحْزُرْ لِرِضَاهَا
خُذْنِي وَعَلِّمْنِي لَدَيْكَ تَكْرُمًا
أَدْبَابًا لِرِفْقَةِ رَوْحِكُمْ وَحِمَاهَا
وَلَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ يُعَلِّمُ قَلْبَنَا
وَلَأَنْتَ أَعْلَى كُلِّ مَنْ رَبَّاهَا
وَأَنَا "الْغَرِيقُ".. أَلَا أَخَذْتُمْ سَيِّدِي
بِيَدَيَّ فِي بَحْرِ يَفُورُ مِيَاهَا
فَتَكْرُمًا خُذْنِي إِلَى أَعْتَابِكُمْ
لَكَ خَادِمًا.. لَا أَرْتَجِي إِلَّاهَا

صَلِّ عَلَيْكَ اللَّهُ يَا خَيْرَ الْوَرَى
يا نورَ شمسٍ أَشْرَقَتْ وَضُحَاهَا



شوال ١٤٢٠ هـ - يناير ٢٠٠٠ م

